INTERNATIONAL JOURNAL OF HUMANITIES AND

LANGUAGE RESEARCH

Online ISSN: 2785-969X | VOLUME 5, ISSUE 1, 2022, 83 – 102 | Print ISSN: 2785-9681

العمارة الحربية وأثرها في تشكيل الفنون التطبيقية الإسلامية

"دراسة أثرية فنية في ضوء تحفتين تُنشرا لأول مرة"

سحر عبد الفتاح حسن وزيري

باحث دكتوراه ومدير إدارة الوعي الأثري والتواصل المجتمعي لمناطق آثار قنا – وزارة السياحة والآثار

مُلخص

إرتبطت تقنيات فن العمارة الإسلامية بالعديد من أشكال العمائر الحربية، ولقد كان تشييد الأبراج والقلاع والحصون والمدن المسورة في مقدمة ما عني به الإنسان منذ أقدم العصور، وتُعتبر العمائر ذات السمة الحربية من أبرز ما تركه الإنسان وأقدمه واكثره وضوحاً ودلالةً على معالم تاريخه ونشاطاته الحربية، كما كانت تعكس نُظم الحياة الإجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والعسكرية ومدى تطورها في أوقات السلم والحرب، فضلاً عن أن تلك العمائر كانت كلما تقادم عليها الزمن فتزداد أهميتها ودلالتها وبصفةٍ خاصةٍ من الجوانب التاريخية والأثرية، ولقد أصبحت هناك حاجة ماسة وأكثر إلحاحاً لدراستها للوقوف على خصائصها المعمارية وعناصرها الدفاعية وأهميتها في المكان الذي شُيدت فيه، وذلك لرسم صورة صادقة لنموذج بارزٍ من نماذج العمارة الإسلامية المختلفة، والتي شُيدت في شتى بقاع العالم الإسلامي. ولقد مَثّل فتح المسلمين للأندلس امتداداً استراتيجياً لفتوحات مصر وشمال افريقيا والمغرب، ولا تزال اسبانيا محتفظة بتراث معماري ضخم من العمائر الحربية سواء كان أسوار مدن أو قلاع أو حصون، كما كان للمُنشآت المعمارية الحربية دوراً بارزاً وفعَّالاً في مجال العمارة الإسلامية؛ فكان لها أيضاً دوراً جلياً في زخرفة وتشكيل الفنون التطبيقية ولا سيما القلاع الإسلامية الأندلسية، ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على التحف التطبيقية المُشكلة على هيئة منشآت حربية ولا سيما التحف الخزفية الإسلامية أو ما يسمى روائع الفنون الإسلامية التطبيقية في ضوء تُحفتين غير منشورتين.

كلمات مفتاحية:

العمارة الإسلامية العسكرية، الفنون الإسلامية التطبيقية، المُنشآت الحربية، القلاع الأندلسية، التحف الخزفية.

Military Architecture and its Impact on the Formation of Islamic Applied Arts "An archaeological and Artistic Study in the Light of Two Masterpieces Published for the First Time"

Sahar Abd El-Fattah Hassan Waziry

PhD Researcher and Director of the Management of Archaeological Awareness and Community Communication for Archaeological Regions of Qena- Ministry of Tourism and Antiquities

Abstract

The techniques of Islamic architecture were associated with many forms of military buildings, and the construction of towers, castles, forts, and walled cities was at the forefront of what man has been concerned with since ancient times. The buildings with a military feature are considered among the most prominent, oldest, and clearest left by man, and an indication of the features of his history and military activities. It also reflected the systems of social, cultural, religious, political and military life and the extent of their development in times of peace and war, in addition to the fact that these buildings were the more old they became, the more important and significant they became, especially from the historical and archaeological aspects. There has become a necessary and urgent need to study it in order to find out its architectural characteristics, its defensive elements, and its importance in the place in which it was built, in order to draw a true picture of a prominent example of the various models of Islamic architecture, which were built in various parts of the Islamic world. The Muslim conquest of Andalusia represented a strategic extension of the conquests of Egypt, North Africa, Morocco, and Spain which still maintains a huge architectural heritage of military buildings, whether it is city walls, castles or fortresses. The military architectural facilities also had a prominent and effective role in the field of Islamic architecture. It also had a clear role in the decoration and formation of applied arts, especially the Andalusian Islamic castles. This research aims to shed light on the applied artifacts formed in the shape of military constructions, especially the Islamic ceramic artifacts or the so-called masterpieces of the applied Islamic arts in light of two unpublished masterpieces.

Keywords:

Islamic Military Architecture, Islamic Applied Arts, Military Constructions, Andalusian Castles, Ceramic Artifacts

مقدمة

من المعروف أن أغلب المدن العربية الإسلامية المبكرة أُنشئت تلبيةً لبعض المُتطلبات المجتمعية ومنها العوامل العسكرية، وقد حددت هذه العوامل إتجاهات إختيار مواضع تلك المدن حيث كان يُراعى في عملية الإختيار أن يكون موقع المدينة مُحصناً وذي إستحكامات طبيعية مُحكمة، ولقد كان للعامل الجغرافي دور فعَّال في الحد من مظاهر الإعتداءات الخارجية التي تتعرض لها أية بلد ضمن نطاق وداخل حدود الدولة الإسلامية[1]، وقد أخذت المدن الإسلامية الناشئة مظهراً حربياً، فقد كانت بمثابة مُعسكرات حربية تفي بمُتطلبات الجيوش الفاتحة، وكانت مراكز الإنطلاق والتوجه نحو فتوحات أخرى، كما كانت إستراتيجية إختيار مواقع تلك المدن تتمثَّل في أن تكون على إتصالٍ مباشرٍ بمركز القيادة في المدينة المنورة ، ولا يفصلها عنها موانع مائية، فإما أن تكون المدينة في طرف البادية وأن لا يفصلها عن مركز الخلافة بحر ولا نهر حتى يلجئوا إلى البادية عندما يضيق العدو عليهم الخناق ولكي يتمكنوا من إرسال الميرة والأوامر العسكرية والوصايا والتعليمات والنجدات دون أن تعوقهم المياه، وحتى يبسطوا من خلالها نفوذهم إلى البلاد المفتوحة[2]، وكان ذلك مُتمثلاً في رؤية الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الذي أكد على هذا الأمر في عملية إختيار موقع كل من البصرة والكوفة والفسطاط[3]، ولقد اتبع عقبة بن نافع نهج الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) في عملية إختيار موقع مدينة القيروان، والتي كانت بعيدة عن البحر وداخل الصحراء حتى لا تكون في مرمى الأساطيل المعادية، ولا سيما أن المسلمين في ذلك الوقت لم تكن لديهم القوة البحرية التي تُمكنهم من الدفاع عن المدن الساحلية ، كما لم تكن الحاجة مُلحة لإنشاء الأسوار حول تلك المدن الأولى، ولقد توفرت عوامل ودواعي الأمن والأمان في حواضر الدولة الإسلامية، حيث إن قوام قاطني تلك المدن كانوا من الجند الفاتحين[4] . وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك مدن تتسم بتوافر تحصينٍ ذاتيٍ من خلال الموانع

---

[1]() محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1988م، العدد 128، ص 135.

[2]() ناجى معروف، عروبة المدن الإسلامية، مطبعة العاني، بغداد 1964م، ص ص 24 – 25.

[3]() يذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان أنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما توجه عتبه ابن غزوان إلى البصرة كتب إليه الخليفة : "اجمع اصحابك في موضع وليكن قريباً من المراعى والماء واكتب إلي بصفته" فجاء عتبة إلى موضع البصرة فكتب إلى عمر (ﷺ): "أنى وجدت أرضاً كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف"، ولما وصلت رسالة عتبة في وصف المنطقة إلى الخليفة قال: "هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب، فكتب إليه: انزلها". راجع: البلاذري (أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر) ت: 279هـ / 892 م، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت 1987م، ص 483 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 432.

([4]) بهاء موسى حبيب، تطور العمارة العسكرية في مدينة اشبيلية، بحث منشور بمجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية،

المائية من الأنهار والجبال والبحار التي كانت تُمثل حواجز طبيعية، وذلك مثل أغلب المدن الأندلسية كاشبيلية والمدينة الخضراء وغرناطة، ويذكر "ابن صاعد الأندلسي" في كتابه "طبقات الأمم" ما يلي: "*والجبل الذي ذكرنا فيه هيكل الزهرة هو الحد الشرقي من الأندلس، وهو الحاجز ما بين الأندلس وبلاد أفرنسة من الأرض الكبيرة التي هي بلاد افرنجة العظمى*"[1]، إلا أن هناك مدن لم تكتف بالموانع الطبيعية تحسباً لاجتيازها من قبل الأعداء فابتنت الأسوار مثل مدينة إشبيلية، حيث يذكر "الذهبي" في كتابه "سير أعلام النبلاء" أن والي إشبيلية عبد الملك بن حبيب الفقيه قد كتب إلى الحاكم الأموي في ذلك الوقت عبد الرحمن بن الحكم يحرضه على بناء سور إشبيلية ويقول له: "*احقن دماء المسلمين أيدك الله وأعلى يدك بإبتناء السور أحق*"[2].

المنشآت الحربية

أكثر المسلمون من تشييد العمائر ذات الصفة الحربية في كافة البلدان التي دخلوها فاتحين، وكان ذلك من أجل الحفاظ على دولتهم وحضارتهم من أي خطر خارجي ، ولم تكن العمارة الحربية مجرد مباني تفنن في بنائها المسلمون، بل إنها شكلت حضارة المُجتمعات وكان قوامها تكوين المدينة بشكلٍ عامٍ، فشيدوا الأربطة والقلاع والمدن المحصنة بالأسوار ، واهتموا بتحصين القصور داخل تلك المدن أو خارجها، كما عنوا بإختيار المواقع الإستراتيجية القريبة من المدن لإقامة القلاع عليها لتكون بمثابة نقطة دفاعية حصينة للمدينة المُشيدَّة بالقرب منها لتأمينها والحفاظ على مؤسساتها، وتلك التحصينات المُتمثِّلة في القلاع والأسوار والأبواب والأبراج قد منحت للمدينة مقوماتها الأساسية كما ساعدت في تنمية عمرانها، ولقد اعتبر الدين الإسلامي أن مثل تلك التحصينات كانت من أهم العناصر المعمارية التي تُسهم في حفظ كيان الدولة وبعث الأمن والاستقرار فيها[3] . ولقد اشترط المسلمون في بناء التحصينات الحربية وجود المواقع الحصينة ، كإقامتها على المناطق المُرتفعة والوعرة ، وعلى قمم الجبال الشاهقة، وكذلك على ضفاف الأنهار وشواطىء البحار وذلك حتى يصعب على العدو الوصول إليها ولكي يتمكن المدافعون من الدفاع عن مدنهم، ولذلك فأقاموا حولها الأسوار وحُفرت خارج الأسوار خنادق وأُقيمت على جدران الأسوار أبراج لمراقبة حركات العدو قبل إقترابه، وذلك من أجل تحقيق الأساليب والدواعي الدفاعية والهجومية كما تطورت بالمثل تلك التحصينات من حينٍ إلى آخرٍ،

جامعة الكوفة، العراق 2017م، المجلد 11، العدد 20، ص ص 387 – 388.

([1]) الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي) ت: 462هـ / 1070م، طبقات الأمم، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1912م، ص 63.

2() الذهبي (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي) ت: 748 هـ / 1348م، سير أعلام النبلاء، 3 أجزاء، رتبه وزاده حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان2004 م، الجزء الثاني، ص 2175.

[3]() يحيى حسن وزيري، العمارة الإسلامية الحربية، ص 17.

وربما كان ذلك بفضل تطور وسائل ومنهجيات الدفاع المُتبعة [1] .

لقد شجعت حركة الحروب الصليبية التي هاجمت العالم الإســـلامي على كثرة تشييد المنشآت الحربية في العالم الإسلامي، وقد تفنّن المسلمون في إنشاء تحصيناتهم الدفاعية لحماية الدولة من هجمات الأعداء والتصدي لهم، فبنوا على طول الحدود تحصينات أطلقوا عليها اسم الأربطة[2]، كما إشتملت التحصينات الحربية على الحصون[3] والطوابي[4] والخنادق[5] والقلاع

---

[1]() محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص 136.

[2]() الأربطة: هي أبنية عسكرية تُمثل خط دفاع متقدماً عن البلاد، حيث كان يقيم فيها الجنود وعائلاتهم بشكل دائم، فيمارسون في حياتهم الدينية والمدنية إضافة إلى استعدادهم وجاهزيتهم الدائمة لمواجهة أي عدوان خارجي أو السيطرة على أي فتنة أو خلخلة داخلية، وتُبنى الأربطة على هيئة نسق معماري مُتماثل فيغلب على تخطيطها الأشكال المستطيلة، والجدران الحجرية المنتظمة المزدوجة المزوّدة بالأبراج الدفاعية، أما في الداخل فكان هناك فناء واسع تحيط به غرف لسكن الجنود ومسجد ومرافق عامة، ولما زالت عن الأربطة صفاتها الحربية أصبحت بيوت للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية. راجع: كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2000م، ص ص 19 – 20.

[3]() الـــحـــصـــون: هي اكبر الاستحكامات الحربية وتحيط بمساحات من الأرض لتحميها وتحصنها ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو من خارجها، ومن ثم فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون مثل سور مدينة بغداد والقيروان والمهدية وقرطبة والقاهرة وصنعاء ، على أن المباني التي تحصن المدن أو القرى أو الأحياء لابد وأن تتميز عن الأسوار العادية بإحتواءها على مبان خاصة للحماية والتحصين والمراقبة كالأبراج والسقاطات والمزاغل، والتي يجب أن يتواجد فيها باستمرار حامية من العسكر والجند، وقد يشمل الحصن على قلعة أو أكثر ضمن مبانيه، ولا يقتصر ساكني الحصن على العسكر والجند فقط بل كثيراً ما يوجد بداخله عدد كبير من المدنيين الذين يقومون بالزراعة أو بالخدمات العامة. راجع: سعاد ماهر محمد، الاستحكامات الحربية بسلطنة عمان، بحث منشور بمجلة الدارة، الريا ، السنة السابعة، ربيع الثاني 1702هـ / فبراير 1982م، العدد الثالث، ص ص 199 – 200.

[4]() الطوابي: استمدت الطوابي اسمها من الطابية المغربية التي استخدمت في بناء أسوار بعض مدن المرابطين والموحدين، وتبنى من مواد أقوى من اللبن تشبه الخرسانة تتكون من الحمرة والجير وكسرات الفخار والحجارة الصغيرة والزلط وتعجن بالماء وتخمر قبل صبها في حواجز خشبية، ويعد ذلك من تطوير استخدامات مواد الإنشاء لزيادة متانة الأسوار. راجع: سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، دار البيان العربي، جدة 1985م، الجزء الثاني، ص ص 819 – 821.

[5]() الـــخـــنـــادق: الخندق عبارة عن منخفض أو أخدود اصطناعي يحيط بالمدينة أو بقلعة ما أو أي مبنى آخر من جهة واحدة أو من عدة جهات، وتكون الخنادق في اغلب الأحيان مملوءة بالمياه إذا كانت قريبة من مجرى نهر، وفي بعض الأحيان تكون جافة لشُحة المياه وبخاصة في حالة المدن البعيدة عن الأنهار، وقد اُستخدم الخندق كعنصر دفاعي منذ عصر ما قبل الإسلام، في العراق وفارس ومصر وغيرها، وكان أول استخدام للخندق في العصر الإسلامي في عهد الرسول(ﷺ) سنة 5هـ / 626م عندما أحاط جزء من المدينة بخندق عمقه 20 ذراعاً وعرضه 20 ذراعاً أيضاً، وذلك قبيل غزوة الأحزاب بإشارة من سلمان الفارسي، ثم انتشر حفر الخنادق بعد ذلك في مختلف مدن العالم الإسلامي وقلاعه. راجع: سعدي إبراهيم الدراجي، العناصر المعمارية العسكرية، ص 56 ؛ عبد الله عبد السلام الحداد، الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن، ص 63.

والأبراج[1] والأسوار[2].

ولقد مَثّل فتح المسلمين للأندلس امتداداً استراتيجياً لفتوح مصر وشمال افريقيا والمغرب، ولا تزال اسبانيا محتفظة بتراث معماري ضخم من العمائر الحربية سواء كان أسوار مدن أو قصاب[3] أو قلاع أو حصون، وهو أمر طبيعي فرضه تاريخها الطويل لا سيما في العصر

---

[1]() البرج (بضم الباء وسكون الراء) –جمع أبراج وبروج– القصر المحصن، مصداقاً لقوله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، والبرج أيضاً البيت الذي يُبنى على سور المدينة أو على سور القلعة، وكذا الحصن الذي يكون مُرتفع البناء مُستديراً أو مُربعاً والذي يعتصم فيه المقاتلون، ويُقصد بالبرج في المصطلح الأثري المعماري بناء مُرتفع في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو الخان أو الرباط أو القصر الذي يُرابط فيه الجند المُكلفون بالدفاع عنه، وقد يُبنى البرج في المدن الساحلية على الشاطئ للدفاع عن المدينة المتاخمة له، بحيث يكون في هذه الحالة أشبه بقلعة صغيرة تُشكل خط الدفاع المُتقدم عن تلك المدينة، ومن هنا فقد شّكل البرج عنصراً دفاعياً مُهماً في أسوار المدن والقلاع والحصون والخانات والأربطة والقصور وغيرها من مُنشآت معمارية. راجع: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي) ت 817هـــ / 1414م ، القاموس المحيط ، 4 أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1301هـــ / 1884م ، الجزء الأول ، ص 185؛ القرآن الكريم ، سورة رقم 4 ، سورة النساء، الآية 78؛ الــرازي (محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر) ت: 666هـ / 1268م ، مختار الصحاح،مكتبة لبنان،بيروت، 1986م،ص 58؛ محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية 648–923هـ / 1250–1517م ،مطبعة الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1995م ، ص 21.

[2]() عرف ابن منظور الأسوار فقال السور جمع أسوار وسيران وهو حائط المدينة ونحوه تسورت الحائط وسورته سوراً، وهو حائط المنزل أو الحديقة أو غيرهما ويحول دون وصول الأخرين إليه قال تعالى:﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾، وفي المصطلح الأثري فإن السور مفرد كلمة أسوار وهو بناء يرتفع عن سطح الأرض يحيط بالمدينة كلياً في المدن التي تبنى في السهول والوديان، أو يحيط بها جزئياً كما في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية وغالباً ما تستند على جبل عالٍ أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها، وتُبنى الأسوار في الغالب بالأحجار وخاصة في المدن الجبلية، والآجر أو الطين النيئ في مدن السهول والسواحل، كما كانت هناك أسوار تُبنى بالطوابي، ويكون سمك السور وارتفاعه مناسباً لموقع المدينة لذلك يختلف من مدينة إلى أخرى، ويدعم كل سور على مسافات محددة تتراوح بين 15–40م أبراج متنوعة منها المربع والمستطيل ونصف الدائرة وثلاثة أرباع الدائرة، وتتميز هذه الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، وكذلك باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها والسقاطات وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة. راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 384 ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص ص 2975–2976؛ القرآن الكريم، سورة رقم 57، سورة الحديد، الآية 13؛ عبد الله عبد السلام الحداد، الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن، بحث منشور بمجلة المنهل، جدة، السنة 66 ذو القعدة 1421هـــ/ فبراير 2001 م، العدد 571، المجلد 61، ص52.

[3]() القصاب: جمع قصبة بمعنى قلعة، وهي استحكام حربي يُبنى للدفاع عن المدن أو عن الطرق التجارية، وفي اللغة هي الحصن الممتنع في جبل، والقصبة في بلاد المغرب والأندلس حصن منيع يقام عادة في موقع مرتفع مثل قصبة مالقة وقصبة المرية بالأندلس، وقصبة رباط الفتح وقصبة مراكش بالمغرب الأقصى وقصبة تونس بالمغرب الأدنى، والقصبة أهم بناء في المدينة ففيها تتمركز السلطة السياسية والدينية ومنا تبدأ الدفاعات الحصينة التي تحتضن المدينة، وكانت القصبة تشمل عادة قصر الحاكم والقلعة أو القلاع التي تحميه ودور الوزراء والحاشية ومسجد جامع ودواوين للإدارة والحكم ومستودعات ومخازن للمال والسلاح وصهاريج لتخزين المياة باعتبارها منشأة دفاعية تجمع بين المنشآت العسكرية والمدنية والعمارة الدينية والمرافق ذات الخدمات العامة المشتركة. راجع: خالد عزب، دار السلطنة

الإسلامي الذي لم تقف خلاله الحدود الفاصلة بين الأندلس وبين الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية عند حد ثابت، وكثيراً ما تعرضت هذه الحدود للمد والحزر نتيجة لقوة أحد الطرفين وضعف الأخر، فضلاً عن الحملات والغزوات التي كان يشنها كل طرف على الأخر وكانت هذه الحملات تخترق الحدود وتهدد القواعد والمدن والقرى، ولم يتوقف صراع الأندلسيين عند الممالك النصرانية فقط، بل كانت هناك قوة ناوأت الدولة الإسلامية في الأندلس ووقفت لها بالمرصاد كالعباسيين في المشرق ودولة شارلمان في أوروبا، فضلاً عن الصراع المحتدم بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية[1].

ولقد كان لإغارة القراصنة النورمانديين على شواطئ ومدن الأندلس الساحلية من حين إلى آخر أثره في تحصين تلك المدن بإقامة الأسوار والأبراج والقصاب لحمايتها، هذا بالإضافة لوجود صراعات داخلية فقد شهدت الأندلس وعلى مر عصورها كثيراً من الثورات والتمردات والعصيان، اختلفت أسبابها من وقت لآخر ومن مدينة لأخرى وما كانت تموج به الأندلس من صراعات بين ملوك الطوائف أنفسهم ومحاولة كل منهم السيطرة والتوسع على حساب الممالك الأخرى، إضافة إلى الصراعات التي كانت بين ملوك الطوائف ودولة المرابطين، وبين دولة المرابطين ودولة الموحدين، وبين الموحدين والإمارات والقواد المناوئين لهم، كل تلك الأسباب وغيرها دفعت بالحكام المسلمين في الأندلس على مدى عصورهم واختلاف دولهم بتحصين المدن عن طريق القصاب وإحاطتها بالأسوار، وشيدوا القلاع والحصون على الطرق الرئيسية وفوق المرتفعات والجبال ذات المواقع الإستراتيجية[2]؛ لذا فكان للمُنشآت المعمارية الحربية دوراً بارزاً وفعَّالاً في مجال العمارة الإسلامية فكان لها أيضاً دوراً جلياً في زخرفة وتشكيل الفنون التطبيقية، إلا أن نماذجها كانت قليلة فقد وصلنا منها تحفتين من الخزف تمثلا محبرتين تم تشكيلهما بهيئة قلاع.

القـــــــــــلاع: القلعة (بفتح القاف وسكون اللام) –جمع قلاع وقلوع– حصن ممتنع في جبل[3]، ويُقصد بالقلعة في المصطلح الأثري المعماري كونها بمثابة طراز من الحصون شاع

في مصر "العمارة والتحولات السياسية"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2007م، ص 20؛ عبدالله الجراري، قصبة الرباط في مراحل التاريخ، بحث منشور بمجلة دعوة الحق، العدد الأول، السنة الثامنة، نوفمبر 1964م، ص 48.
- Peter,B., Islamic Castles in Iberia, The Castle Studies Group Journal, No22, 2008, P.232.

(1) أسامة طلعت، أسوار وقلاع الأندلس، بحث منشور بمجلة المنهل، عدد خاص عن "التراث المعماري في الحضارة الإسلامية"، العدد 571، المجلد 61، العام 66، يناير/فبراير 2001م، ص 91.

2() عامر حسن عجلان، العمائر الحربية الأندلسية، بحث منشور بدورية كان التاريخية، المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية، العدد الثاني والثلاثون، يونيو 2016م، ص ص 151–152.

3() المقرئ (أحمد بن محمد بن على الفيومي المقرئ) ت: 770هـــ / 1368م، المصباح المنير، جزءان، مكتبة لبنان، بيروت 1987م، الجزء الثاني، ص 513.

استخدامه في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الداخلي أو الخارجي، وكانت تقوم حينذاك بوظيفتي المسكن والحصن معاً، لأن ظروف الحياة إبان تلك العصور التي كثرت فيها الفتن والاضطرابات والحروب كانت قد دعت وحتمت ضرورة ذلك المفهوم وتلك الوظيفة[1]، والتي كانت بمثابة إستحكامات حربية تُبنى في منطقة إستراتيجية كالجبل والتل أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار، ولقد كانت القلعة بمثابة وحدة معمارية قائمة بذاتها وقد تكون منفصلة عن الحصن أو بداخله، وهي قاصرة على المراقبة والدفاع ضد أي عدوان خارجي، وقوام مكوناتها هي مكونات الحصن في البناء، وكلا البناءين كانا يخدمان الغرض المراد من مسألة الدفاع وصد أي هجوم خارجي، والقلعة بوصفها بناء حربي فقد كان كل قاطنيها من الجند والعسكر فقط، ولا مجال فيها لإقامة المدنيين، ومن هنا كان من المُمكن أن يشتمل الحصن ضمن مبانيه على قلعة واحدة أو أكثر، وعلى ذلك فالقلعة وحدة معمارية قائمة بذاتها، وقد تكون منفصلة عن الحصن أو بداخله شريطة أن يكون موقعها إستراتيجياً مرتفعاً أو على ساحل بحر ونحو ذلك، وتكون مهمتها مقصورة على المراقبة والدفاع ضد أي إعتداء خارجي[2].

ولقد كان إختيار موقع القلعة يتطلب عدداً من المواصفات الخاصة والتي يجب توافرها باعتبارها بمثابة عنصر مهم من عناصر الإستحكامات الحربية الإسلامية، ومن أهمها حُسن اختيار الموقع، ومتانة الأسوار وتدعيمها بالأبراج والوسائل الدفاعية والهجومية، وتوفير المياه والغذاء اللازم أثناء وقت الحصار، وكانت القلاع تحتوي على ثكنات لإقامة الجند، ومخازن للسلاح والغذاء، وآبار أو صهاريج لتخزين المياه، ومسجد لأداء الصلاة، وسجن لمن يخرج عن الطاعة، وإسطبلات للخيل والدواب[3]، كما كان لابد وأن تحتوي على مبان خاصة للحماية والتحصين والمراقبة كالأبراج والسقاطات[4] والمزاغل[5]، والتي يجب أن يتواجد فيها باستمرار حامية من

---

(1) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص 319.

(2) فريد شافعي، العمارة العربية ماضيها حاضرها ومستقبلها، ص ص 109– 111.

(3) سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، ج2، ص 821.

(4) السقاطات: عنصر معماري يستخدم في العمارة الحربية ، وهى من العناصر الدفاعية المهمة التي تستخدم في العمارة العربية الإسلامية ، وهى عبارة عن شرفة صغيرة تبرز عن السطح الخارجي للجدران أو الأسوار وتكون في الطوابق العليا للبناء وتحتوى على عدد من الفتحات في أرضيتها وواجهتها تستخدم لرمي السهام والأحجار أو صب السوائل الحارة على رؤوس المهاجمين أثناء وجودهم تحت الأسوار ، ويؤكد كريزويل أن السقاطة عنصر عربي عرفه العرب في سوريا قبل الأوروبيين ، وانه لم يعرف في أوروبا قبل نهاية القرن الثاني عشر الميلادي . راجع : سعدى إبراهيم الدراجى ، العناصر المعمارية العسكرية في العمارة العربية الإسلامية ، وقائع ندوة العلوم العسكرية عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، بغداد 1989م ، ص 88 .

- Creswell, K.A.C., Fortifications in Islam Before A.D 1250 , British Academy , London 1952, Vol.38, P.91.

(5) المزاغل: أحد العناصر الدفاعية في العمارة الحربية، وهى فتحات ضيقة في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو

العسكر والجند، وكانت أول قلعة عرفتها العمارة الحربية هي التي بناها وليم عم الملك وليم الفاتح في نورماندي، ثم إنتقلت القلاع إلى العمارة الإسلامية المبكرة والوسيطة، كما حدث في قلعة أيوب جنوب غرب مدينة سرقسطة في الأندلس خلال القرن (2هـ/8م) ، وقلعة القاهرة الفاطمية خلال القرن (4هـ/10م) ، وقلعتي بني حماد في المغرب والحصن في سوريا خلال القرن (5هـ/11م)، وقلعتي الجبل ودمشق الأيوبيتين خلال القرن (6ه/12م)، وقلعة بني عباس في الجزائر خلال القرن (9هـ/15م)، وغيرها من القلاع والحصون التي شُيدَّت خلال القرن (6هـ/12م) بالقرب من السواحل العربية مثل حصون الكرك وعكا وعجلون والمرقب وغيرها[1]. **الدراسة الوصفية :**

- **(لوحة 1 - شكل 1)**
- **نوع التحفة** : محبرة[2] .
- **المادة الخام** : الخزف ذي البريق المعدني[3] .

البرج أو البوابة، وهي ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل، تُطلق منها الرماح والسهام وغيرها من المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم أيضا للتهوية والإضاءة والمراقبة، وقد اعتاد المعمار المسلم أن يجعلها ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل لتمكين المكلف بالحراسة فيها من قذف رماحه وسهامه على المهاجمين لها في سهولة ويسر، وقد استخدمت المزاغل منذ فترة مبكرة في العمارة الحربية الإسلامية وأقدم بقاياها توجد في قصر الحير الغربي 110هـ، وقصر الأخيضر 161هـ ، ومزاغل الطوابق العليا في سور سوسه 254هـ ، وأسوار القاهرة الفاطمية 480-284هـ /1087م -109م . راجع :عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، ص ص 277 - 278.

[1]() عاصم رزق ، معجم مصطلحات العمارة ، ص 241.

([2]) المحبرة: هي الوعاء التي تستخدم لحفظ مادة الحبر، وهي اما أن تكون جزء من أجزاء الدواة – وهي الأداة التي تستخدم لحفظ أدوات الكتابة والحبر وفي اللغة ما يكتب منه- أو آلة مستقلة عنها ، وكان المسلمون يستخدمونها متصلة بالدواة لكنهم كانوا يلجأون الى استخدامها منفصلة لخفة وزنها، وغالباً ما يكون الشكل الذي تصنع عليه المحبرة اسطواني ولا يكون مربعاً حتى لا يتكاثف المداد في زواياه فيفسد، وكانت المحابر تصنع بصفة أساسية من البرونز أو النحاس وتكفت بالذهب والفضة ، وازدهرت صناعتها في مختلف الأقطار الإسلامية حيث كان من أثر الإقبال على التعليم والكتابة العناية بأدواتهما ومن ثم حرص الصناع المسلمون على إتقان هذه الأدوات والتفنن في تزيينها حتى صارت تحفاً فنية تبهر الأنظار بجمالها وزخارفها فضلاً عن دقة صناعتها ومتانتها . للاستزادة عن الدوي والمحابر. راجع : نضال عبد العالي أمين، أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية، ص ص 132 – 133؛ صلاح حسين العبيدي، الدواة والقلم في الآثار العربية الإسلامية، ص ص 641 – 642؛ احمد ممدوح خيري، الكتابة العربية، ص ص 81 – 82؛ حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج 2، ص ص 201 – 202.

[3]() الخزف ذي البريق المعدني: يعد من أهم أنواع الخزف الإسلامي وأحسن ما ابتكره الصناع المسلمون من أنواع الخزف قاطبة، كما يعتبر من مفاخر صناعة الخزف الإسلامي خاصة وان الصين الذائعة الصين في صناعة الخزف لم تعرف صناعة هذا النوع من الخزف، كما أن صناع الخزف الغربيين لم يفلحوا في تقليد الخزف ذو البريق المعدني إلا في القرن (12هـ /18م)، وقد فسر العلماء أن السبب الرئيسي في ابتكار هذا النوع من الخزف انـــه اغني

- **التاريخ** : القرن 9 هـ /15 م .
- **المصدر** : إسبانيا[1] .

المسلمين عن الأواني الذهبية والفضية التي كان الفقهاء يكرهون استعمالها لما فيها من مظاهر الترف والإسراف، وذلك تنفيذاً لما ورد عن الرسول (ﷺ) في قوله: "الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"، ولعل السبب في ابتكار هذا النوع من الخزف ايضا راجعا إلى النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي في كافة المجالات ولاسيما في تقدم الصناعات التطبيقية دون ان يكون وراء ذلك تحريم او كراهية خاصة وان هناك العديد من المتاحف الأثرية التي تزخر بالعديد من التحف الفضية والذهبية مثل الشماعد والكؤوس والأباريق والأواني والتنانير وكذلك التحف النحاسية المكفتة بالذهب والفضة والتي صنعت في تلك الفترة، كما يمكن ان يكون السبب في ابتكار هذا النوع من الخزف راجع إلى اهتداء الخزاف المسلم إلى مادة الطلاء الزجاجي المعتم ذي اللون الأبيض Opaque بإضافة اكسيد القصدير إلى هذا السائل الزجاجي الشفاف الذي كان يستعمله الخزاف من قبل في طلاء الأواني الخزفية وذلك عند قيامه بعدة تجارب لتقليد الخزف البيزنطي ذي الزخارف البارزة، ولكن الخزاف المسلم حاول أن يكسب الأواني المقلدة بريقا اقرب ما يكون بريق المعدن، وقد اختلفت أراء علماء الآثار حول معرفة الموطن الأصلي لصناعة هذا النوع من الخزف فهناك من ينسبه إلى أن إيران هي أول من عرفت صناعته وذلك اعتمادا على شهرة إيران في صناعة الخزف قبل الإسلام، وفى أوائل العصر الإسلامي بالإضافة إلى العثور على أفران لصناعة الخزف في مدينتي سوسة وساوة بجانبها حوامل للأواني الخزفية وعليها مادة البريق المعدني مما يؤكد صناعة البريق المعدني في إيران، وهناك من ينسبه إلى العراق وذلك نظرا لما عثر عليه منه في أطلال مدينة سامراء وكذلك القطع التالفة التي عثر عليها في أفران هذه المدينة ، وهناك من ينسبه إلى مصر خلال بداية القرن (4هـ/10م)، خاصة وانه عثر على قطع كثيرة منه في أطلال الفسطاط ومن بينها قطع تالفة عثر عليها في أفران تلك المدينة، ولكن الراجح في أصل صناعة الخزف ذو البريق المعدني انه كان في العراق خلال القرن (3هـ /9م)، والسبب في ذلك هو تقدم صناعة الخزف في العراق في تلك الفترة وتأثر الصناع المسلمون بالأواني الخزفية الجميلة التي كانت تستورد من الشرق الأقصى إلى مدينة بغداد واستمد منها الخزاف العراقي الوحي في هذا الابتكار. راجع في ذلك: ربيع حامد خليفة، فن الفخار والخزف, موسوعة الفن العربي الإسلامي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, تونس 1997م، الجزء الثالث "الفنون"، ص 352؛ عاصم محمد رزق، الفنون العربية الإسلامية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة 2006م، ص ص 87 – 88 ؛ حسني محمد نويصر، الآثار الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1996م، ص ص 220 – 221؛ سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة 1986م، ص 28.

- Lane, A., Early Islamic Pottery, Faber And Faber, London, 1953, P.10.

[1]() اسبانيا: دولة تقع جنوب غربي أوروبا مشهورة بتاريخها السياسي والثقافي العريق، وبدورها كنقطة اتصال بين شعوب وحضارات مختلفة، سُميت في القديم "بايبيريا" نسبة إلى نهر ايبرو أو إلى قبائل تحمل الاسم نفسه سكنت حول هذا النهر، ثم عمم اسمها على كل شبه الجزيرة، عُرفت اسبانيا أو شبه جزيرة ايبيريا بأسماء عديدة على مر العصور التاريخية نُسب بعضها إلى أسماء انهارها، وبعضها الآخر إلى أسماء شعوب وقبائل سكنت في ربوعها مثل اسم "بيتيكا" الذي اطلقه عليها الرومان نسبة إلى نهر بيتي، وعرفت عند اليونانيين باسم "هسبيريا" وهى مشتقة من كلمة هسبيروس وتعني الكوكب الأحمر أو نجمة السماء، واطلق المسلمون على اسبانيا اسم "الأندلس" وهو تعريب للفظ الأندليش ويعني بلاد الوندال نسبة الى قبيلة جرمانية غزت اسبانيا في مطلع القرن الخامس الميلادي، اما حدودها الجغرافية فهي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية على مثلث من الأرض يضيق كلما توجهنا نحو

- **مكان الحفظ** : متحف أدريان دوبوشيه الوطني بفرنسا[1].
- **رقم الحفظ** : LP2878 .
- **المقاسات** : 19.8 سم قطر × 34 سم ارتفاع .
- **الـــــوصـــــــــــف**:

محبرة من الخزف المقولب ذي البريق المعدني المزخرف باللون الذهبي على أرضية بيضاء، وتظهر مشكلة بهيأة قلعة تبدأ من أسفل بقاعدة مرتفعة دائرية الشكل يزخرفها رسوم نباتية محورة تمثل أفرع نباتية وأوراق مسننة وازهار القرنفل وأنصاف مراوح نخيلية، وقد حاول الفنان إضفاء الطابع الزخرفي على بدن القلعة فظهرت هذه الزخارف منفذة على كامل سطح التحفة، وهو ما يتنافي مع طبيعة القلاع والحصون في العمارة القائمة والتي تتميز بقلة الزخرفة نتيجة لطبيعتها العسكرية، وقد زُود سطح القاعدة بعدة فتحات دائرية لوضع الحبر وأدوات الكتابة بداخلها، ويعلو القاعدة القلعة التي تظهر عبارة عن خمسة أبراج اسطوانية الأوسط منها أكبرها واعرضها ويقع خلف مدخل القلعة الذي يظهر عبارة عن عقد نصف دائري يعلوه صف من الشرافات ذات قمة مدببة تشبه الرماح، اما عن أبراج القلعة فتظهر بواقع برج رئيسي في المنتصف ويقع حوله أربعة أبراج اقل منه في الارتفاع والحجم، وللأبراج نفس التكوين فهي عبارة عن بدن اسطواني تشغله زخارف نباتية ينتهي من أعلى بإطار دائري يبرز للخارج قليلاً يعلوه صف من الشرافات ذات القمة المدببة، وتختلف قمة البرج الأوسط حيث يفصل بين الشرافات حلقات دائرية مفرغة.

- **(لوحة 2 - شكل 2)**
- **نوع التحفة** : محبرة .
- **المادة الخام** : الخزف المرسوم تحت الطلاء .
- **التاريخ** : القرن 9 هـ /15 م .

الشرق ويتسع غرباً مقابل السواحل الشمالية للمغرب، حيث يفصل بينهما ما كان يعرف قديماً ببحر الزقاق أو مضيق جبل طارق، وتتصل في الشمال بفرنسا ، وتحيط بها المياه من كل جانب مما حدا بالجغرافيين المسلمين إلى وصفها بشبه الجزيرة، إذ يمتد البحر المتوسط على طول ساحليها الشرقي والجنوبي من السطوح الشرقية لجبال البرينية حتى مضيق جبل طارق، الذي يفصل شبه الجزيرة عن شمالي افريقيا، ويلتقي عنده البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي الذي يُطوق شبه الجزيرة من ناحيتي الشرق والغرب. للاستزادة راجع: الحميري (أبوعبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري) ت: 900هـ/1495م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975م، ص 32؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد مكتبة الأسرة، القاهرة 2004م، ص ص 262-263؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، بيروت 2010م، ص ص 13-15.

(1) https://www.photo.rmn.fr/

- **المصدر** : إسبانيا .
- **مكان الحفظ** : متحف تيرويل باسبانيا[1].
- **رقم الحفظ** : 13015 .
- **المقاسات** : 21 سم قطر × 23.5 سم ارتفاع .
- **الـــــوصـــــــــف**:

محبرة من الخزف المقولب ذو الزخارف المرسومة تحت الطلاء باللون الأسود على أرضية بيضاء، تتشابه في الشكل والتصميم مع المحبرة السابقة فتظهر مشكلة بهيأة قلعة تبدأ من أسفل بقاعدة مرتفعة دائرية الشكل يزخرفها رسوم نباتية محورة تمثل أفرع نباتية متماوجة يخرج منها أوراق ملتفة باللون الأسود على أرضية بيضاء، وزود سطح القاعدة بعدة فتحات دائرية لوضع الحبر وأدوات الكتابة بداخلها، ويعلو القاعدة القلعة التي تظهر عبارة عن خمسة أبراج اسطوانية الأوسط منها أكبرها واعرضها ويقع خلف مدخل القلعة الذي يظهر عبارة عن عقد نصف دائري وتتوسطه فتحة تشبه النافذة وهي تحاكي الفتحات التي توجد في أعلى مداخل القلاع القائمة والتي تسمح للمدافعين بضرب المهاجمين للباب من خلاله وإلقاء المقذوفات الحارقة عليهم.

اما عن أبراج القلعة فتظهر بواقع برج رئيسي في المنتصف ويقع حوله أربعة أبراج اقل منه في الارتفاع والحجم، وللأبراج نفس التكوين فهي عبارة عن بدن اسطواني تشغله زخارف نباتية وحيوانية فيظهر على جانب كل برج طائر ضخم يظهر واقفاً وتتجه رأسه جهة اليمين وينتهي كل برج من بفتحات مثلثة تحاكي المزاغل يعلوها صف من الشرافات بشكل يشبه الحلقة الدائرية المصمتة.

الدراسة التحليلية:

الشكل والتصميم:

من خلال الوصف السابق للمحبرتين يتضح أن كل منهما تحاكيان من حيث الشكل والتصميم طراز القلاع الأندلسية، فقد تأثر الفنان بما يراه صوب عينيه من أشكال قلاع وحصون فقام بمحاكاتها في تشكيل وزخرفة التحف التطبيقية التي يستخدمها في حياته اليومية، فقد وصلنا من بلاد الأندلس مجموعة من القلاع والحصون حيث كانت للظروف التي مرت بها هذه البلاد والصراع مع القوى المسيحية التي كانت تتربص لإستعادة سيطرتها عليها، بالإضافة إلى وجود فترات من الصراع بين بعض الأسرات الحاكمة لبلاد الأندلس اكبر الأثر في الاهتمام بالعمارة الحربية وتحصين المدن حتى أن معظم المدن التي أسسها المسلمون في الأندلس على انها

(1) goazsocial.com/es/goazguiadetail/un-dia-en-teruel/

اكتسبت الصبغة الحربية، وعندما توطد مُلك المسلمين في بلاد الأندلس قاموا بإنشاء مجموعة من القلاع وذلك لمواجهة اطماع الأسبان المستمرة ورغبتهم في طرد المسلمين من الأندلس[1]. فقد أقام الأمويون الكثير من القلاع والمراكز الدفاعية لضمان سلامة بلادهم، واقدم هذه القلاع المعروفة قلعة ماريدا التي أُنشئت في عهد عبد الرحمن الثاني سنة (220هـ/835م) ويتقدم هذه القلعة جسر اقيم على نهر غواديانا، وتشبه هذه القلعة القلاع البيزنطية بسورها المربع المبني من الحجر المنحوت وأبراجها المستطيلة المصمتة الجدران وابراجها المربعة في زوايا السور لها ومدخل واحد فقط، كما اهتم الأندلسيّون بحسن انتقاء موضع بناء قلاعهم حتى لا تكون سجناً للمدافعين عنها مع مراعاة الناحية الحربية، فعلى مقربة من إشبيلية قلعة جميلة رائعة هي قلعة جابر التي تقع على بعد 12كم من اشبيلية، والتي تُعد من أهم أمثلة القلاع الإسلامية في الأندلس وتُشكل القلعة مدينة صغيرة تشتمل على كافة المنشآت الخدمية ويبلغ ارتفاعها 82 متراً وتتكون من سياجين بينهما سور فاصل يتوسطه باب، وقد جدد الموحدون هذه القلعة واسوارها وزودوها بالخنادق وتشبه اسوارها اسوار مدينة اشبيلية وكانت قاعدة للموحدين خلال حكمهم في بلاد الاندلس[2].

ولقد كانت هناك بعض القلاع الاندلسية يصفها بعض المؤرخين بأنها قلعة ومدينة حيث كانت مقر للأسر الحاكمة مثل قلعة أيوب وقلعة رباح وقلعة وادي ابره، كما كانت هناك قلعة المرية وقلعة قرمونة وقلعة رندة التي توصف بأنها من افضل معاقل الاندلس وقلاعها الممتنعة، وكانت احياناً تستخدم القلاع كسجن ومثال ذلك قلعة قونكه أحد قلاع مدينة اشبيلية الحصينة والتي كانت كان بها سجناً مخصص للطبقة العليا من وجهاء المدينة كالقضاة والفقهاء[3]، وهناك قلعة غرناطة التي تصفها المصادر التاريخية "بأن لمدينة غرناطة قلعة عالية شديدة الامتناع وفيها اشجار وثمار ومياه مسيرة يومين تقع تحت مرأى العين"[4]، كما كانت بعض القلاع الاندلسية تنسب في بعض الاحيان الى بانيها كقلعة عمروس الذي بناها خارج المدينة على سفح الجبل وكان الهدف

---

[1]() صلاح أحمد البهنسي، عمارة المغرب والأندلس في العصر الاسلامي، جامعة عين شمس، د.ت، ص ص 189-190 ؛ وفاء زين عبيد الرحيلي، الدور العسكري للحصون الاندلسية في القرنين (3-4هـ/9-10م)، مجلة الاداب والعلوم الانسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المجلد 26، العدد 1، ص 293.

[2]() عنان محمد عبدالله، الاثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال "دراسة تاريخية اثرية"، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997م، ص 70 ؛ السيد عبدالعزيز سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية 1985م، ص 239.

([3]) باسيليو بابون مالدونادو، العمارة في الاندلس عمارة المدن والحصون، ترجمة على ابراهيم منوفي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة 2005م،ص ص 206- 207.

[4]() ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر) ت: 732هـ/1332م، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت 1830م، ص 177.

من بنائها ان تكون معسكراً للجند ليكونوا بمعزل عن الاهالي حتى لا يكون هناك مجالا للهو والاندماج معهم وذلك لتكوين جيشاً قوياً ومنظماً، وهناك قلعة أيوب التي تقع جنوب سرقسطة وتوصف بانها قلعة حصينة شديدة المنعة كثيرة الاشجار والثمار وكثيرة الخصب وبها يُصنع الفخار المذهب[1].

ولقد كانت القلاع الأندلسية عادة تُبنى من الأحجار أو من الطين المدكوك مع الدبش (الحجارة المكسرة) وفي عهد دولة الموحدين كانت تُبنى من الطين المخلوط بالحصى والرمل والجير الذي يُدك بين الواح خشبية فيصبح صلباً كالحجر وهو الذي يُعرف في بلاد المغرب باسم الطابية، وكان تصميم اغلب القلاع الاندلسية يتكون من ثلاثة أقسام قسم مركزي يشمل فتحة الباب وقسمين جانبيين عبارة عن أبراج مربعة الزوايا أو أبراج نصف دائرية (لوحة 3) ويكون البرجان أعلى من القسم المركزي وتتخلل الأبراج فتحات ضيقة تمثل المزاغل وتعلو جدران القلاع شرافات غالباً ما تأخذ قمتها هيئة هرمية الشكل[2].

<u>اسلوب التشكيل والزخرفة:</u>

تنوعت طرق تشكيل وزخرفة التحف الخزفية في العصر الإسلامي، ما بين الخزف ذو الزخارف المحزوزة، والخزف ذو الزخارف المحفورة، والخزف ذو الزخارف البارزة، والخزف المرسوم تحت الطلاء، والخزف المرسوم فوق، والخزف ذو البريق المعدني، وتتكون جميع أنواع خامات الخزف من مادة أساسية هي سليكات الألومونيوم المائية بالإضافة إلي بعض الشوائب الطبيعية وتعتمد جودة المنتج الخزفي على اختيار النوعية الجيدة والمناسبة من الطفلة التي يتم عجنها وتشكيلها بشكل القطعة، وبعد التشكيل توضع القطعة في الفرن ويبدأ الصانع في إشعال النار حيث تأخذ درجات الحرارة في الارتفاع التدريجي فيتبخر الماء من الطين ويتخذ الجسم صلابته، أما العملية التالية للحرق فهي عملية الترجيح وطلاءات التزجيج عبارة عن مواد تحضر على شكل مسحوق يخلط بالماء وتطلى به الأواني بعد الحرق الأول وعند إعادة الحرق تحت درجات حرارة عالية تنصهر هذه الطلاءات لتكون طبقة زجاجية رقيقة تتحد بالسطح لتسد المسام، وهى تتكون في العادة من مواد كالرصاص والرمل وغيره[3]، ومن خلال وصف المحبرتين السابقتين اتضح ان احداهما مصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني والأخرى من

---

[1]() رغدة جمال مناف العزاوي، العمارة الاندلسية من القرن الثاني الهجري الى القرن الخامس الهجري، مخطوط رسالة دكتوراة، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 2013م، ص 133 ، 135.

[2]() سعد زغلول عبدالحميد،العمارة والفنون في دولة الإسلام،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،الإسكندرية، 2004م، ص 503.

[3]() نادر محمود عبد الدايم، الخزف الإيراني في العصر الصفوي "دراسة أثريه فنية من خلال مجموعات متاحف القاهرة"، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، 1995م، ص 101.

الخزف المرسوم تحت الطلاء.

الخزف ذي البريق المعدني (لوحة1): من المعروف أن صناعة الخزف ذي البريق المعدني انتشرت في العالم الإسلامي كله منذ القرن (3هـ/9م)، وقد وصلت منتجات الخزافين الشرقيين إلى الأندلس إذ قد عُثر في حفائر مدينة الزهراء على بعض القطع منه، وقد حفز وصول الغضار الذهبي الشرقي الخزافيين الأندلسيين على انتاجه وقد استعانوا بفنانين من المشرق ممن يعلمون أسرار صناعته وتعلموا منهم واخذوا عنهم أسرار صناعته[1]، فيذكر أبوليد بن جناح "أن خزافيين شرقيين نزحوا إلى الأندلس واستقروا به وجلبوا معهم أدواتهم الخاصة"[2]، وربما كان أغلب الظن إن صناعة الخزف ذي البريق المعدني قد نشأت بالأندلس في القرن (4هـ/10م)، وقد اشتهرت بعض مدن الأندلس بصناعته فيذكر الحميري الإدريسي أن قلعة أيوب كان يُصنع بها الفخار المذهب ويتجهز به إلى كل الجهات[3]، وقد عثر على موقد للخزف في هذه المدينة عام 1876م واستمرت هذه الصناعة قائمة بها على أيدي المسلمين حتى بعد زوال الحكم الإسلامي من الأندلس، وتدل على ذلك وثيقة مؤرخة في (عشر شوال سنة 912هـ/11 فبراير سنة 1507م) وهي عبارة عن تعاقد بين محمد سليمان الثعلب من ربض المسلمين بقلعة أيوب وبين عبدالله الغويه من أهل هذا الربض على استئجار صانع خزف مذهب ليعلمه هذه الصناعة[4].

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت من المدن التي ذاع صيتها في إنتاج الخزف الأندلسي المذهب مدينة مالقة وذلك في الفترة الواقعة بين القرنين (5-7هـ/11-13م) ويتميز هذا الخزف ببريقه المعدني الذهبي الذي يميل إلى الاصفرار وزخارفه النباتية المحورة والكتابات الكوفية والنسخية ورسوم الحيوانات المحورة عن الطبيعة، كما كانت قرية منيشة من اعمال بلنسية من المراكز الفنية التي شاعت شهرتها في صناعة الخزف ذي البريق المعدني في الفترة من القرن (8-10هـ/14-16م)، ومعظم الأواني التي اخرجتها مصانع منيشة كانت من الصحون والقدور وآنية الأدوية، وكان بعضها يُزين بزخارف بالبريق المعدني الذهبي والأزرق قوامها كتابات كوفية وفروع نباتية ومراكب شراعية، وظلت صناعة الخزف ذي البريق المعدني في منيشة

---

[1]() ربيع حامد خليفة، فن الفخار والخزف, ص 367.

[2]() جمال محمد محرز، الغضار المذهب بالأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، السنة الأولى، العدد 1، مصر، 1377هـ/1958م، ص 132.

[3]() جمال محمد محرز، الغضار المذهب بالأندلس، ص 132.

[4]() جمال محمد محرز، المرجع نفسه، ص 133.

تتطور وتتجدد في فترة القرن (11هـــــ/17م) كما انها ظلت محتفظة بالطابع المغربي الأندلسي الإسلامي رغم خروج الأندلس من أيدي العرب[1].

الخزف المرسوم تحت الطلاء: (لوحة 2) ازدهر في الأندلس مركز من مراكز الصناعة في قرية باترنا من أعمال بلنسية امتازت بإنتاج خزف ذي زخارف مرسومة تحت الطلاء باللون الأخضر أو البني أو الأسود على أرضية بيضاء، اما زخارف هذا النوع من الخزف فقوامها رسوم طيور وحيوانات محورة عن الطبيعة وموزعة على سطح الإناء بالكامل بل إن بعض الأواني التي اخرجتها باترنا من هذا النوع كانت تضم رسوماً يتضح فيها الطابع الشرقي[2]، اما الخاصية التي يمتاز بها عن غيره من الخزف الإسلامي فهي تلك الطريقة المبتكرة في التزجيج والتي لم يعرفها الشرق الإسلامي وتُعرف في كتب تاريخ الفن باسم طريقة الفواصل الجافة وهى تعنى ان الإناء بعد تزجيجه لم يكن يزجج مرة واحدة بلون واحد بل كان يُقسم إلى أقسام يزجج كل واحد منها بواسطة الفرشاة بلون خاص ويفصل كل لون عن الأخر حز عميق ثم يُسوى في الفرن بعد هذا التزجيج[3].

العناصر الزخرفية:

لم يكتف الفنان بتشكيل التحفتين السابقتين بهيئة قلاع تشتمل على كل العناصر المعمارية للقلعة كالمداخل والابراج والشرافات، بل قام ايضاً بزخرفة كامل سطح التحفة بزخارف نباتية محورة، وقد ازدهرت الزخارف النباتية في العصور الإسلامية المختلفة حيث حظيت بالتقدير والاهتمام الكبير من جانب الفنانين المسلمين ويرجع السبب في ذلك إلى عمق إيمان الفنان المسلم ورهافة حسه ورقة مشاعره وحبه للطبيعة وعن طريق التأمل استطاع ابتكار أشكالاً جديدة للزخارف النباتية ميزت الفن الإسلامي عن غيره من الفنون[4]، في حين يرى بعض العلماء أن السبب في إقبال الفنانين المسلمين على الزخارف النباتية يرجع إلى ما شاع عن كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية فانصرف كثير من الفنانيين المسلمين إلى ميادين فنية وجدوا فيها حرية إشباع نزعتهم الفنية وإظهار مهارتهم الصناعية وكانت الزخرفة النباتية بعناصرها المختلفة والمتنوعة ميداناً رحباً للفنانين الذين استمدوا من الوحدات الفنية النباتية عناصر زخرفية طبقوها على

---

[1]() زكى محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1984م، ص 333 ؛ ربيع حامد خليفة، فن الفخار والخزف، ص 369.

(2) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974م، ص 23.

[3]() محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت 1979م، ص 105.

[4]() نجاة شاكر محمد زيدان ، أثر العقيدة الإسلامية في الزخرفة عند المسلمين ، بحث منشور بمجلة الدارة ، الرياض ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، صفر 1398هـ / 1978م ، ص 77 .

منتجاتهم الفنية المتعددة[1]، وتجدر الإشارة إلى أن بداية التحديد الواضح لتطور الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بشخصيته المتفردة كان في زخارف سامراء في القرن (3هـ/9م) لاسيما في الأسلوب الثاني والثالث حيث يظهر تأثر العنصر النباتي تأثراً كبيراً بانصراف الفنانين المسلمين عن استحياء الطبيعة أو تقليدها تقليداً صادقاً أميناً[2]، فكانوا يستخدمون الجذع والورقة لتكوين زخارف متشابكة متتابعة بها رسوم محورة عن الطبيعة تمتاز بالتكرار والتقابل والتناظر وتبدو عليها مسحة هندسية جامدة تدل على سيادة مبدأ التجريد[3]. ومن الزخارف النباتية التي ظهرت تزخرف سطح المحبرتين:

زهرة القرنفل: (لوحة 1- شكل 3)

زهرة ذات رائحة عطرة أزهارها كبيرة مزدوجة ، تتنوع ألوانها بين الأبيض والأصفر الفاتح عبر ظلال الوردي والأحمر والبرتقالي ، ولا يعرف على وجه التحديد الموطن الأصلي لهذه الزهرة ، لكنها عرفت منذ أقدم العصور حيث كانت زهرة الإله جوبتر "Jupiter" كبير آلهة الرومان واستخدمت على التحف الساسانية قبل الإسلام ، وأقدم مثال لاستخدامها في العصر الإسلامي يعود إلى بدايته وذلك في زخرفة فسيفساء قبة الصخرة بالقدس الشريف[4]، وقد عنى الأتراك العثمانيين بزراعة أنواع متعددة من هذه الزهرة فكانوا مغرمين بها لدرجة كبيرة وانتقلت إليهم عبر التأثيرات الفارسية المقتبسة من الفن الصيني واعتبرها الأتراك رمزاً للسعادة والحكمة والمعرفة، وحفلت بها فنونهم التطبيقية المختلفة بصفة عامة وفن السجاد بصفة خاصة[5]،

(1) سعيد محمد م صيلحي ، أدوات وأواني المطبخ المعدنية في الع صر المملوكي " درا سة أثرية وفنية " ، مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، قسم الآثار الإسلامية ، 1983، ص 241.

(2) ح سين م صطفى ح سين ، المحاريب الرخامية في قاهرة المماليك البحرية ، مخطوط ر سالة ماج ستير ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، قسم الآثار الإسلامية ، 1981 م ، ص 120 .

[3]() زكي حسن ، فنون الإسلام ، ص ص 249 – 250 .

(4) هند علي على محمد ، الزخارف النباتية على الفنون التطبيقية في آسيا الصغرى خلال العصر العثماني ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، قسم الآثار الإسلامية ، 2012م ، ص ص 273 – 274 .

(5) كوثر أبو الفتوح ، درا سات لـ سجاجيد جورديز في ضوء مجموعة متحف ق صر المنيل ، سل سلة الثقافة الأثرية

وظهرت زهرة القرنفل تزخرف المحبرة المزخرفة بأسلوب البريق المعدني (لوحة 1) ولكن بشكل محور عن الطبيعة.

الأوراق المسننة: (لوحة 1 – شكل 3)

تعرف هذه الورقة بورقة "الساز"، وترجع أصول هذه الورقة إلى إيران وكانت نشأتها الأولى في مدينة هراة حاضرة الدولة التيمورية في إيران خلال القرن (9هـ/15م) ، وقد استخدم هذا العنصر الزخرفي بكثرة على السجاد الإيراني، وذاع صيته في الفن العثماني في القرن (10هـ/16م)، فكانت ترسم مع الزهور والورود في تناسق بديع ويحيط بها الفرع النباتية والأغصان[1]، وظهرت الورقة المسننة تزخرف المحبرة المزخرفة بأسلوب البريق المعدني (لوحة 1) ولكن بشكل محور عن الطبيعة.

الافرع النباتية (لوحة 2- شكل 4)

استطاع مؤرخو الفنون ان يتتبعوا تطور زخرفة الأفرع النباتية ليصلوا إلى أن نشأة الأفرع النباتية الإسلامية أُتخذت عن الفنين الهليني والإغريقي، وكان الطراز الأموي هو حلقة الوصل بين الزخارف في العالم الكلاسيكي (الهليني والإغريقي) وما تطور عنها في الفنون الإسلامية فيما بعد، وقد استخدمت الأفرع النباتية كثيراً في الزخارف الإيرانية كأرضية للعناصر الزخرفية الآدمية والحيوانية، وكانت ترسم الفروع النباتية خلال القرن (7هـ/13م) محلاة بالوريقات والزهور بعضها يحمل زخارف نباتية محورة من أوراق نباتية متعددة الفصوص وأخرى كأسية وقلبية الشكل ومراوح نخيلية وانصافها وفصوصها وأزهار محورة عن الطبيعة[2] وقد ظهرت الأفرع النباتية منفذة على المحبرة المزخرفة باللون الأسود على أرضية بأسلوب الرسم تحت الطلاء (لوحة2- شكل4).

خاتمة ونتائج الدراسة

يتضَّح مما سبق أن فن العمارة يُعد أحد مظاهر الجمال والتذوق الفني في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ حيث إن الفنان قد تأثر بالعمارة الإسلامية تأثراً جلياً يتضح في تشكيل وزخرفة الفنون التطبيقية، ويتجلى ذلك من خلال النماذج المعمارية المُنبثقة من العمارة الحربية ومظاهرها التي لوحظ أنها كانت تُزخرف عدد لا بأس به من التحف التطبيقية- لا سيما- القلاع التي تُعدَّ من أبرز المُنشآت المعمارية الحربية التي طوعها الفنان المُسلم كحلية فنية واستخدمها في زخرفة

والتاريخية مشروع المائة كتاب ، العدد 35 ، وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للآثار ، 2003 م، ص 98 .

[1]() هند على ، الزخارف النباتية ، ص 327 .

([2]) زكى محمد حسن، فنون الاسلام، ص 251 ؛ هند على ، الزخارف النباتية ، ص 336 .

وتشكيل الفنون التطبيقية. يُمكن القول أن الفنان قد تأثر بما يراه صوب عينيه من أشكال قلاع وحصون فقام بمحاكاتها مُستخدماً إياها في تشكيل وزخرفة التحف التطبيقية التي كان يستخدمها في حياته الدنيوية ونشاطاته اليومية، ولقد ارتبط تشكيلها تقنياً ومُحاكتها زخرفياً وفنياً واستخدامها تطبيقياً على تلك التحف التطبيقية ليتجلى منها الغرض الوظيفي الفني؛ حيث كانت ذات بُعد جمالي وزخرفي فني فقط دون أن يكون لها أي دور معماري واضح. يُلاحظ جلياً أن الفنان المُسلم لم يقف ساكناً عند حد تشكيل ومُحاكاة التحف لتتجلى بأشكال ومظاهر لمنشآت معمارية حربية، بل قام أيضاً بزخرفة سطح التحف المُشكلة على هيئة القلاع والحصون ذات الطبيعة الحربية والمُنبثقة من العمارة الحربية أو المُنشآت المعمارية ذات الطبيعة العسكرية، إلا أن زخارفها كانت ذات دلالات بسيطة، كما كانت تحمل إشارات رمزية، وربما يرجع ذلك لطبيعة تلك المنشآت الحربية أو العسكرية التي تمتاز بقلة الزخارف.

لوحة (1)

لوحة (2)

لوحة (3) قلعة منزاناريس ريال باسبانيا يرجع تاريخها الى بداية القرن (9هـ/15م) عن :
https://pt.wikipedia.org/wiki/Castelo_Novo_de_Manzanares_el_Real

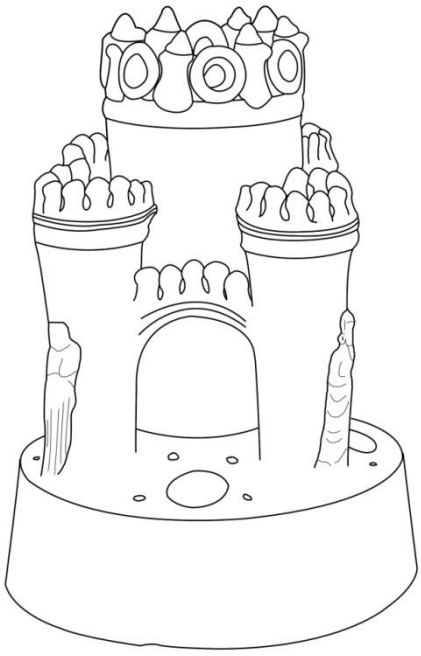

شكل (1)
عمل الباحثة

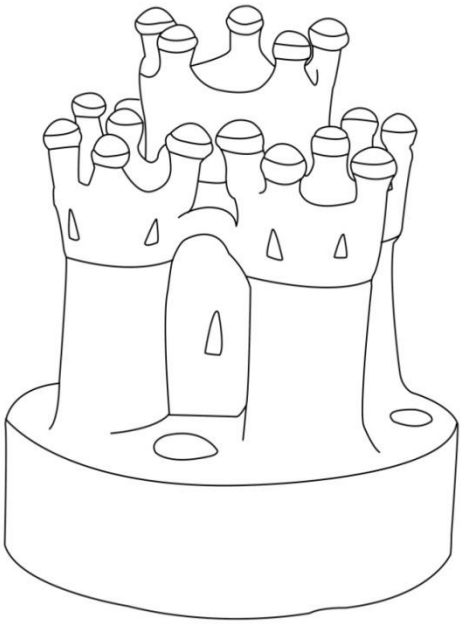

شكل (2)
عمل الباحثة

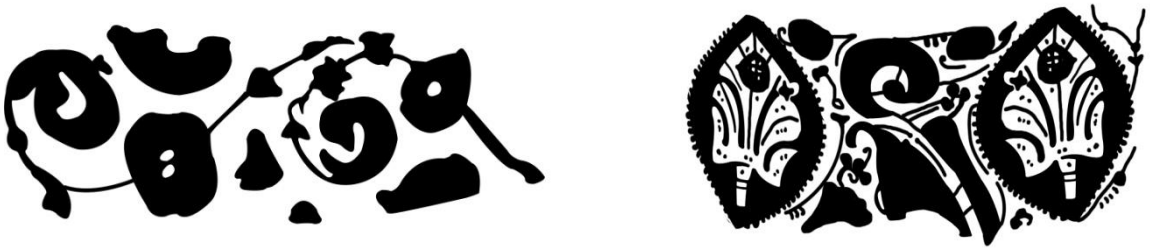

شكل (3)
عمل الباحثة